مجلة جامعة ذي قار المجلد 14 العدد 2 حزيران 2019
Web Site: https://jutq.utq.edu.iq/index.php/main
Email: journal@jutq.utq.edu.iq

اقتران لفظي الله والرسول في أسلوب العطف في القرآن الكريم

أ.د. أحمد رسن صحن
جامعة البصرة / كلية الآداب
Email: ahmed.rasan@uobasrah.edu.iq

الملخص

حلّل الباحث ظاهرة الاقتران بين لفظ الله ولفظ الرسول في أسلوب العطف في القرآن من جهتين : أنماط التركيب التي استعمل فيها هذا الاقتران وهي : الجملة الاسمية المؤكدة وغير المؤكدة والجملة الفعلية ذات الفعل الماضي والجملة الفعلية ذات الفعل المضارع . وأساليب الشرط والأمر والنفي والاستفهام والنهي والاستثناء .

وفهم دلالة أسلوبية ظاهرة الاقتران في نسبة فعل واحد إلى الله ورسوله ، فاتضح أنّ الفاعل الحقيقي هو الله تعالى والرسول فاعل بالتبعية إذ إنّه يكتسب القدرة على الفعل من فاعله الأصيل .

الاقتران بين لفظي الله ورسوله له دلالة موضوعية كوّنت أربعة موضوعات قرآنية

الأول : الإيمان بالله والرسول وقد مرّ بثلاث مراحل : الدعوة للإيمان بهما . وتحقّق ذلك الإيمان عند المؤمنين . والإيمان العالي بالله ورسوله بدرجة عالية من الإيمان .

الثاني : الطاعة لله ولرسوله في مرحلتين : الأمر بالطاعة لهما . وتحقّق الطاعة لهما عند المؤمنين .

الثالث : الكفر بالله وبرسوله وهو ما يقابل موضوع الإيمان .

الرابع : العصيان لله ولرسوله وجاء على شكل قاعدة مفادها (من يعصِ الله ورسوله يخلد في جهنم) وهو يقابل موضوع الطاعة .

الكلمات المفتاحية : اقتران ، الله ، الرسول ، أسلوب العطف.

Abstract

The researcher analyzed the phenomenon of the association between the word of God and the Prophet utter kindness in style in the Qur'an on my part : installation patterns used in this pairing, namely : Wholesale nominal confirmed and unconfirmed actual wholesale past tense and the actual sentence of the present tense. And methods of the condition and it is, exile and the question and Prevention and the exception.

Understand the significance stylistic phenomenon pairing in the proportion of one reaction to Allah and His Messenger, and it was shown that the real actor is God and the Prophet active extension as it acquires

the ability to act of the perpetrator authentic. Pairing between verbal Allah and His Messenger has an objective indication formed four Quranic topics.

First: Faith in God and the Prophet has passed through three stages: the call of faith with them. This was achieved when the faith of believers. Higher faith in God and His Messenger, a high degree of faith.

II: obedience to Allah and His Messenger in two phases: the command obedience to them. And check obedience to them when the faithful.

Third: disbelief in Allah and His Messenger, which corresponds to the subject of faith.

IV: disobedience to God and His Messenger, and that came on the base form (from disobey Allah and His Messenger, he will abide in hell).

المقدمة

اتخذ الباحث (اقتران اسمي الله والرسول في أسلوب العطف في القرآن الكريم) موضوعاً لبحثه ؛ لأنّه ظاهرة نحوية تتنوع تراكيبها النحوية ، وأساليبها . وتستبطن دلالات متعدّدة . وهي لم تبحث من قبلُ فيما قرأتُ من دراسات . فكان هذا البحث قد اختصّ بهذا الموضوع . وتمّ استقراء ذلك الاقتران اللفظي لبيان طبيعة تراكيبه وفهم دلالاته في مدخل ومبحثين : المدخل ضروري لتوضيح دلالة الاقتران في اللغة والاصطلاح. والمبحث الأول فيه تحديد لأنماط تركيب الاقتران وهي : الجملة الاسمية المؤكدة وغير المؤكدة والجملة الفعلية بنوعيها : الماضوية والجملة المضارعية . وأساليب الشرط والأمر والنفي والاستفهام والنهي والاستثناء .

والمبحث الثاني هدفه فهم دلالة أسلوبية ظاهرة الاقتران في نسبة فعل واحد إلى الله ورسوله ، فكانت النسبة تارةً إلى الفاعل الأصيل هو الله سبحانه وتعالى وأخرى إلى الفاعل التابع للأصيل وهو الرسول كونه فاعلاً غير مستقل في تحقيق فعله إذ إنّه يكتسب القدرة على الفعل من الله القدير. ويبقى يستمدها عند مزاولته الفعل حتى يتمَّ ذلك الفعل على النحو المطلوب .

وبيّن الباحث الدلالة الموضوعية للاقتران بين لفظي الله ورسوله ، فكوّنت أربعة موضوعات قرآنية

الأول : الإيمان بالله والرسول وقد مرّ بثلاث مراحل : الدعوة للإيمان بهما . وتحقّق ذلك الإيمان عند المؤمنين . والإيمان العالي بالله ورسوله بدرجة عالية من الإيمان .

الثاني : الطاعة لله ولرسوله في مرحلتين : الأمر بالطاعة لهما . وتحقّق الطاعة لهما عند المؤمنين .

الثالث : الكفر بالله وبرسوله وهو ما يقابل موضوع الإيمان .

الرابع : العصيان لله ولرسوله وجاء على شكل قاعدة مفادها(من يعصِ الله ورسوله يخلد في جهنم) وهو يقابل موضوع الطاعة .

وقد اعتمد الباحث على مصادر لغوية مثل الصحاح للجوهري ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس وكتب التفسير الأساسية مثل جامع البيان في تأويل آي القرآن للطبري والكشاف للزمخشري والميزان للطباطبائي وغيرها ثم انتهى البحث بخاتمة احتوت على نتائج البحث .

المدخل : الاقتران في اللغة والاصطلاح

الاقتران في اللغة

الاقتران هو المصاحبة . وهو مشتق من الفعل((اقترن الشيء بغيره . وقارنته قرانًا : صاحبته))[1] وله معنى آخر هو الجمع لذلك فُسّر به ((جمع شيء إلى شيء ... قارنت بين الشيئين))[2] وهذان المعنيان اللغويان يؤسسان للمعنى الاصطلاحي الذي يترشح منهما . ويستقر قريباً منهما في دلالته العلمية.

الاقتران في الاصطلاح

أفاد الراغب الأصفهاني الدلالة الاصطلاحية من المعنى اللغوي المتقدّم ، فعرّف الاقتران بقوله((اجتماع شيئين أو أشياء في معنى من المعاني))[3] والباحث يكتفي بهذا التعريف ؛ لأنّه يحقّق الغاية المقصودة لديه ، ويرى أنّه ينطبق على موضوعه ومظاهره في الآيات القرآنية التي يقترن فيها الاسمان : (الله والرسول) . ويجتمعان معاً مع وجود ارتباط معنوي بينهما سيحلّله في محله المناسب . وذلك التحليل يشمل جانبين : الجانب التركيبي والجانب الدلالي ، وهو يتطلّب مبحثين :

المبحث الأول : أنماط تركيب الاقتران

يتصاحب لفظا الله والرسول في مجموعة من الآيات الكريمة في إطار التركيب اللغوي الدال على الحقائق الثابتة المعبّر عنها بهذين الاسمين المباركين الله والرسول ، فالاسم الأول تنفتح دلالته على ثقافة عقدية واسعة وعميقة ؛ نتيجة كثرة الأسماء الحسنى المندرجة فيه ، فهو محيط بها وجامع لها دلالياً ؛ لأنّه((اسم جامع محيط بجميع الأسماء وبمعانيها كلها))[4] .

فهذه الكثرة للأسماء تُوسم التركيب الجديد بسعة المعنى وامتداده عند متابعة معاني هذه الأسماء واحداً واحداً ، وعمق الدلالة متأتٍ من استبطان معاني الأسماء الحسنى وانطوائها في صلب المعنى الجامع لاسم الله علماً للذات الإلهية فضلاً عمّا يتضمنه كلُّ اسم منها من معانٍ كثيرة بحسب سعته الدلالية . وهو عمق دلالي يدعو الباحث إلى فحص النصوص المختارة لفهم دلالتها حين اقترن اسم الله لغوياً باسم الرسول . وهو ارتباط يشي بالربط الواقعي والعلاقة الحقيقية التي تتأسّس عليها الرسالة التي تتكوّن بين طرفين مرسل ورسول ، والاسمان يعبران عن موجودين : الأول الذات الإلهية الله الذي لا حدّ لعظمته المطلقة ، والثاني خاتم الأنبياء الرسول محمد (ص) الذي يحتل المرتبة الثانية في العظمة ، فهو أعظم المخلوقات فالاقتران اللغوي بين الاسمين في هذه النصوص القرآنية ضروري . وقد ظهر هذا الاقتران في الانماط التركيبية الآتية :

أولاً – الجملة الاسمية

كانت الجمل الاسمية إطاراً لغوياً يحتوي الاسمين (الله والرسول) في ظل أسلوب العطف المنجز بالواو الذي هو حرف يفتقر إلى المعنى في ذاته ، ويستمده من المعطوفين لغناهما الدلالي ، ووجود الحرف مرتبط بهما من غير أنْ يفصل بينهما بفاصل آخر فضلاً عن أنْ يكون فاصلاً بنفسه إذ وجود الحرف وجود قائم بوجود الاسمين. ومعناه يتحقّق بسياقه . فيكون الاقتران هنا في أعلى درجاته وأقرب مراتبه . والجملة الاسمية تتجلّى في النص القرآني المرتبط بموضوع البحث بنمطين من التركيب هما :

أ ـ الجملة الاسمية غير المؤكدة

تأتي هذه الجملة مركبة من مبتدأ وخبر وتخلو من قيود التوكيد اللفظية المعروفة عند النحويين في مجموعة من الآيات المباركة نذكر منها ما يأتي :

قال تعالى :﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[التوبة : 62] فقد بدأتْ الجملة الاسمية بلفظ الجلالة الله(اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ) وعطف عليه رسوله والخبر اسم التفضيل أحقُّ . وقيل((الرسول مبتدأ ثان وخبره محذوف دل عليه خبر الأول))[5] والمفاجأة الأسلوبية تكمن في استعمال ضمير المفرد في الجملة (يُرْضُوهُ) وما قبلها مثنى الله ورسوله ، وقد أوّل الضمير مراعاة لتثنية مرجع الضمير ، فقيل ((ومعناه أن يرضوهما))[6] وفهم المعنى فهماً آخر وهو أنّه((وحّد فيه الضمير للدلالة على أن المقصود إرضاء الرسول ، وأنّ ذكر الله تعالى للإشعار بأنّ الرسول من الله تعالى بمنزلة عظيمة واختصاص قوى حتى سرى الإرضاء منه إليه))[7] وبصورة أوضح أنّ رضا الله هو رضا رسوله . فإذا استطاع شخصٌ أنْ يُرضي الرسول فقد نال رضا الله تعالى . وهو أمر جليٌّ ؛ لأنّ المرسل قد رضي عن رسوله ورضي بحمله مسؤولية الرسالة . فإذا أردنا أنْ نفوز برضا الله تعالى نُرضي رسولَه ويسري إلينا رضاه تعالى .

وقال تعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة :1] هذه الجملة تُتيح فهمين بسبب طبيعة أجزائها إذ فيها ثلاثة تراكيب داخلية متتالية من الجار والمجرور(مِنَ اللَّهِ) و(إِلَى الَّذِينَ) و(مِنَ الْمُشْرِكِينَ) : الأول أنّ براءة خبر مبتدأ محذوف تقديره(هذه براءة). والثاني أن يكون قوله (براءة) مبتدأ و(من الله ورسوله) صفة و (إلى الذين عاهدتم) هو الخبر[8] فيكون الجار والمجرور(من الله ورسوله) مع اقتران المعطوفين في الفهمين كليهما صفةً لبراءة ؛ لأنّها نكرة تحتاج إلى قيد يُخصّصها بعد أنْ كانتْ عامة.

وهذه الوحدة في البراءة وتعلقها باثنين الله والرسول لا يُفيد تعدّد البراءة عينها . بل هي واحدة صادرة عن الله تعالى بالأصالة وعن رسوله بالتبع وبالامتثال . فالله بريءٌ من المشركين بذاته المقدسة المنزّهة عن أيّ ارتباط بهؤلاء المتصفين بالشرك الذميم والإثم العظيم . وكذا رسوله يحمل البراءة ذاتها منهم ؛ لأنّ الرسول يتصف بصفات مرسله مع اختلاف المنازل وحفظ المقامات الفارقة بين الخالق العظيم والمخلوق الضعيف . فالكمالات التي اتصف بها الرسول قد أعطاها الله له . والنتيجة أنّ براءة الرسول هي براءة الله تعالى التي أمره بتنفيذها وتطبيقها.

وهذا النمط من التركيب أتى في الآية المباركة : ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ...﴾[التوبة من الآية :3] وفيه تتابع الجار والمجرور(مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) ذو الاقتران اللفظي بين الله والرسول. والجار والمجرور(إِلَى النَّاسِ)فاحتمل معنيين نحويين : (أذان) مبتدأ (إلى الناس) متعلق به والخبر(أن الله بريء) أو أذان مبتدأ وخبره (إِلَى النَّاسِ)[9] ويلزم شبه الجملة(مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) موقع الصفة لأذان في الاحتمالين أنفسهما لتحقيق التخصيص الدلالي في المبتدأ النكرة . فيكون المعنى أنّ الأذان واحد مصدره الله تعالى بالأمر الربوبي ومتلقيه ومنجزه الرسول في الواقع الاسلامي . وأنّ الله اتصف باسمه البريء من المشركين وهذا الاتصاف في مقام فعله تعالى من غير استعانة بما سواه . وكذا اتصف رسوله بالوصف نفسه، فكان بريئاً من المشركين بعونه تعالى وهدايته.

وجاءتْ الجملة في نمط جديد في قوله تعالى:﴿...وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[المنافقون :8] وهي تمتلك سمات أسلوبية منها : التقديم والتأخير إذ قُدّم الخبر(لِلَّهِ)على المبتدأ(الْعِزَّةُ) وتعريف المبتدأ نفسه . مع الفصل الذي أنجزه المبتدأ بين المعطوفين المتلازمين : (لِلَّهِ) و(لِرَسُولِهِ). وهو فصل يوحي بامتلاك الله تعالى العزّة بالأصالة . فيكون((ثبوتها لله تعالى ذاتي و للرسول صلى الله عليه وسلم العزة بواسطة الرسالة وللمؤمنين العزة بواسطة الإيمان))[10] و تمليك الرسول لها من مالكها الأول ، وتمليك المؤمنين العزّة من بعده ببركة الرسول والإيمان برسالته .

أ ـ الجملة الاسمية المؤكدة

جاءتْ في الآية القرآنية الآتية :﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[الأنفال :من الآية 41] فالجملة الاسمية(فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ) مؤكدة بـ(أنّ) وقد فصل اسم (أنّ) بين الله و الرسول للتعبير عن مالكية الله للخمس بالأصالة وللرسول بإذنه تعالى وبتملكه ؛ لأنّ الخالق هو المالك الحقُّ لخلقه وله حقُّ تمليك خلقه لمن يشاء من خلقه في ضوء عدله واستعدادات خلقه لحمل الأمانة وتنظيم المجتمع الإنساني . فالرسول(ص) يمتلك الخمس الذي أثبته الله له ؛ كونه الممثّل لله والقائد للأمة يُربيها ويهديها إلى سعادتها .

وقد ورد الاقتران بين الله ورسوله في الجملة المؤكدة بـ(إنّ) المكسورة الهمزة في صلة الموصول الواقع اسماً لـ(إنّ) في الآيات الآتية :﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[المجادلة :20] وفي﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ...﴾[الأحزاب : من الآية 57] وقد كانت الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع هي صلة الاسم الموصول (الذين). وهذا الفعل الواحد الصادر من بعض الناس يتوجّه إلى الله تعالى أولاً ورسوله ثانياً من غير شيء ثالث معهما يكشف أنّ أيَّ فعل من هذه الأفعال يرتبط بهما على نحو واحد . فالمحاددة لله تعالى هي محاددة لرسوله في أيّ لحظة يحدث الفعل (يحادّون) منهم تتحقّق دلالة

الفعل لله ولرسوله معاً لا فرق بين أنْ يتوجّه الفعل لله أو للرسول , وكذا الأذية للرسول في الآية الثانية هي أذية لله تعالى مع اختلاف الخالق عن المخلوق .

وكان الاقتران بين لفظي (الله ورسوله) في الجملة الاسمية المؤكدة بـ(إنّ) في خبر (إنّ) وهو جملة فعلية فعلها ماضٍ في الآيات الآتية : قال تعالى﴿... فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة : من الآية 80] و﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾[التوبة : من الآية 84] فالكفر بالله هو كفر بالرسول ؛ لأنّ إنكار وجود المرسل أصلاً يلزم منه إنكار وجود الرسول . فكيف يدّعي أنّه رسولٌ وليس ثمة مرسل في الرتبة السابقة ؟!

واستعمل القرآن الكريم الجملة الاسمية المؤكدة بالقصر بـ(إنّما) في الآية المباركة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة :55] وفيها تقدّم الخبر (وليّكم) على المبتدأ (الله) الذي اقترن برسوله ، فتكون الولاية ثابتة لله من ذاته . والولاية لرسوله وللذين آمنوا من ولاية الله تعالى. وهي ناشئة عنها وتابعة لها ومتعلقة بها . ولولا وجود الأولى التي لله لم يكن للثانية وجود وتحقّقٌ أبداً .

وجاءت الجملة المؤكدة بالقصر واقترن الله ورسوله في صلة الموصول في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا ...﴾[المائدة : من الآية 33] والمعنى واضح في الآية وهو أنَّ المحاربة واحدة لله ولرسوله . فأيّ محاربة لأحدهما تكون محاربة للآخر ؛ لأنّ تعاليم الله ودينه وشريعته واحدة عنده تعالى ، وهي نفسها عند رسوله . والفعل المضاد للمستخلِف مضاد لخليفته بلا شكّ .

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾[الحجرات : من الآية 15] . فهؤلاء قد تحقّقوا بالإيمان العميق بالله والرسول . وبدأ النصُّ بالله تعالى الذي هو أصل الإيمان ومداره ، ومنه يأتي الرسول يبلّغ رسالته . وهذا الارتباط بين الله والرسول لا ينفكّ أبداً إذ ليس من المعقول أنْ يكون رسول من غير مرسل . ولا يمكن أنْ يفهم الناس التوحيد من غير رسول . فهم لا يقدرون على أنْ يتصلوا بالله مباشرة . وإنّما يرتبطون بالرسول الذي يعلّمه صفات الله تعالى . ويهديهم إلى آياته ؛ ليؤمنوا به .

ومنه الاقتران في جملة فعلية منفية معطوفة على صلة الموصول كما في الآية المباركة : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[التوبة :16] فجملة(لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ)اقترن فيها الله ورسوله والمؤمنين وهي معطوفة على جملة صلة الموصول (الذين). وقد نفت الآية اتخاذ هؤلاء المؤمنين المجاهدين بطانةً من دون الله والرسول والمؤمنين . فهي تُثبتُ أنّ وليجة المجاهدين الله والرسول والمؤمنين إذ الله خالقهم أقرب إليهم من أنفسهم ، ورسوله

معلّمهم وهاديهم وأقرب الناس إليهم ، والمؤمنون إخوتهم كأنفسهم . أما غيرهم فبعيدون عن المؤمنين جسداً وروحاً .

ثانياً ـ الجملة الفعلية

كوّنت الجملة الفعلية إطاراً تجلّتْ فيه ظاهرة الاقتران اللفظي بين الله ورسوله ، وقد اتخذت الجملة الأنماط الآتية :

أ ـ الجملة الماضوية

وفعلها ماضٍ كقوله تعالى : ﴿أَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ﴾[النور :47]. واستعملت الجملة صلة للموصول في قوله تعالى﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[النور : من الآية 62] وجاءت الجملة الماضوية صلة للموصول (مَنْ) في الآية ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾[التوبة :107] واسم الجلالة مفعول به ورسوله منصوب ؛ لأنّه معطوف عليه .

ب ـ الجملة المضارعية

وقد كان الفعل فيها من الأفعال الخمسة وكان لفظ الجلالة مجروراً وكذا رسوله بالعطف عليه في الآية﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ*تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[الصف :10-11] والجملة الفعلية (تُؤْمِنُونَ) ومتعلقاتها واقعة بدلاً من لفظ (تجارة) . وظهر الاسمان في التركيب﴿...وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[التوبة : من الآية 71] وقد ضمّ الاسمين المباركين. ونجد هذا التركيب ورد في قوله تعالى :﴿...وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[الحشر :من الآية 8]

وكان لفظ الله مفعولاً به ورسوله منصوباً بالعطف. وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[النور : من الآية 62] ارتبط الاسمان الله ورسوله بجملة فعلية صلة للموصول ، وهنا اقترن الفعل بالسين للدلالة على الاستقبال وكان الفاعل لفظ الجلالة كما في الآية﴿... وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة :94] والنمط نفسه استعمل في قوله تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾[التوبة :105] واقترن بهما لفظ (المؤمنين) .

ثالثاً ـ أسلوب الشرط

والشرط الذي اشتمل على الاسمين المقترنين كان على الأنماط الآتية :

أ ـ أداة الشرط (إنْ) + فعل الشرط (ماضٍ) مثبت + جوابه (جملة اسمية مؤكدة) بـ(إنّ) .

والشاهد على هذا الشرط قوله تعالى :﴿وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب :29]

ب ـ أداة الشرط (إنْ) + فعل الشرط (ماضٍ) مثبت + جوابه (جملة فعل أمر)

وجاء هذا الأسلوب في الآية : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء :59] والاسمين اقترنا في جملة جواب الشرط (فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ) .

ت ـ أداة الشرط (إنْ) + فعل الشرط (مضارع) مثبت + جوابه (جملة مضارعية مثبتة)

وقد ظهر في قوله تعالى :﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب :31]

ث- أداة الشرط (إنْ) + فعل الشرط (مضارع) مثبت + جوابه (جملة مضارعية منفية).

نجد هذا النمط في الآية الكريمة ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾[الحجرات :من الآية 14]

ج- أداة الشرط (مَنْ) + فعل الشرط (مضارع) مثبت + جوابه (جملة فعلية ماضوية)

ورد الاستعمال الشرطي في قوله تعالى :﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[الأحزاب :36]

ح- أداة الشرط (مَنْ) + فعل الشرط (مضارع) مثبت + جوابه (جملة اسمية غير مؤكدة)

وهذا التركيب في قوله تعالى :﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[النساء :من الآية 69] .

خ- أداة الشرط (مَنْ) + فعل الشرط (مضارع) مثبت + جوابه (جملة اسمية مؤكدة) بـ(إنّ) .

ومنه قوله سبحانه﴿... وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[الجن :من الآية 23] وكذلك ورد التركيب الشرطي في الآية المباركة :﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة :56]

د- أداة الشرط (مَنْ) + فعل الشرط (مضارع) منفي + جوابه (جملة اسمية مؤكدة) بـ(إنّ)

﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[الفتح :13]

ذ- **أداة الشرط (مَنْ) + فعل الشرط (مضارع) مثبت + جوابه (جملة اسمية مؤكدة) بـ(أنّ)**

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة :63]

ر- أداة الشرط (ما) + فعل الشرط ماض + جوابه (جملة اسمية)

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[الحشر :7]

ز- أداة الشرط (إذا) + فعل الشط (ماضٍ) + الجواب جملة اسمية

نجد هذا الأسلوب استعمل في الآية المباركة :﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[النور :48] وفيها اقترن الاسمان مرتبطين بفعل الشرط .

س- أداة الشرط (لمّا) + فعل الشرط (ماضٍ) + الجواب جملة ماضوية

وهو مستعمل في الآية المباركة : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[الأحزاب :22] واقترن الاسمان(الله ورسوله) في جملة الجواب في جملة صلة الاسم الموصول (ما) وهي(وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ). واقترنا أيضاً في الجملة المرتبطة بها بالواو(صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ).

ش- أداة الشرط (لو) + فعل الشرط (ماضٍ) + جوابه جملة ماضوية منفية

في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[التوبة :59] وقد ارتبط (الله ورسوله) بجملة صلة الموصول(ما)(آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) وتكرر اقترانها في جملة (سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ)

رابعاً ـ أسلوب الأمر

استعمل النص القرآني الأمر داعياً للإيمان وقد اقترن فيه الله ورسوله مجرورين في قوله تعالى:

﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ...﴾[الحديد : من الآية 7] والأمر غايته الدعوة للإيمان بالله ورسوله في قوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ...﴾[الأعراف : من الآية 158] ويتوجّه الخطاب نحو المؤمنين آمراً إياهم إلى الإيمان بالأسلوب نفسه قائلاً﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء :136]

وجاء الأمر بطاعة الله ورسوله في نصوص قرآنية منها : ﴿...وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المجادلة : من الآية 13] و﴿وأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾[الأنفال :من الآية 46] واستعمل مع الله (الرسول) معرفة بأل في قوله تعالى :﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[آل عمران :من الآية 32] وجاء الأمر بالاستجابة لله وللرسول(ص)﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال :24] وكان الأمر جواباً عن سؤال في الآية : ﴿يسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[الأنفال : من الآية 1].

وقد استعمل القرآن الكريم فعل الأمر بالطاعة وقد فصل بين الأمر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله في مجموعة من النصوص منها:﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[النور :من الآية 54] و﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[محمد :من الآية 33] و﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[التغابن :من الآية 12]

خامساً ـ أسلوب النفي

نجد الاقتران قد ظهر في بعض الآيات التي تضمنت النفي في بعض أجزائها . واتخذ النفي ثلاثة أنماط هي :

أ ـ ما النافية + الجملة الماضوية

وقد ورد في قوله تعالى﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[الأحزاب :12] والنفي كان بـ(ما) والفعل الماضي(مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ).

ب ـ لا النافية + الجملة المضارعية

وجاء في قوله تعالى﴿... وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[التوبة :من الآية 29] في جملة صلة الموصول (ما) التابعة للجملة المنفية(لَا يُحَرِّمُونَ).

ت- لم + الجملة المضارعية

ورد هذا الأسلوب في قوله تعالى﴿... وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ...﴾[التوبة :من الآية 16] والله مضاف إلى دون لذلك جاء رسوله مجروراً بالعطف عليه .

سادساً - أسلوب الاستفهام

تجلّى الاستفهام في نمطين :

أ- الاستفهام بالهمزة

كان الاستفهام الذي اقترن به الاسمان المباركان بالهمزة . وقد خرج للتوبيخ في آية واحدة : ﴿... أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[التوبة : من الآية 65] واستعملت الهمزة مع أم المعادلة واقترن الله ورسوله مرفوعين في جملة فعلية بعد أم التي تكرّرت في قوله تعالى:﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾[النور :من الآية 50]

ب- الاستفهام بـ(كيف)

واقترن الاسمان مجرورين بعد الظرف عند في آية واحدة هي :﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[التوبة :من الآية 7]

سابعاً - أسلوب النهي

اقترن الله ورسوله في إطار النفي بلا الناهية في الآية الشريفة﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحجرات :1] ولفظ الجلالة مضاف إليه ، وقد عطف عليه رسوله . وفي قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[الأنفال :من الآية 27]

ثامناً - أسلوب الاستثناء

نجد الاسمين العظيمين (الله ورسوله) في جملة ماضوية واقعة بعد أداة الاستثناء الملغاة(إلّا) كما في قوله تعالى ﴿... وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[التوبة : من الآية 74] والنمط نفسه تجلّى في قوله سبحانه :﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾[التوبة :54]

المبحث الثاني : دلالة الاقتران

يبدو من ملاحظة النصوص القرآنية التي تضمنت الاقتران الخاص بالبحث أنّها تثير في ذهن الباحث دلالتين تستحقان التحقيق والتوجه نحوهما ؛ لإدراكهما حتى تُفهم هذه الظاهرة وهما:

أولاً – أسلوبية الاقتران

ينصبّ التحليل الأسلوبي هنا على المفاجأة الأسلوبية في الآيات التي اقترن فيها(الله والرسول) لمعرفة الإبداع اللغوي في هذه النصوص ، والمفاجأة مرتبطة بغير المتوقع والمنبه الأسلوبي لخلق استجابة المتلقي. والمقصود بالمفاجأة الأسلوبية ما بيّنها جاكوبسن((تولّد اللامنتظر من خلال المنتظر))[11] وهنا تمثل الدلالة القرآنية مجالاً واسعاً تتجلّى فيه مظاهر غير المنتظر

والمعنى المفاجئ فالمبدع يتجاوز الدلالة المعجمية ليقدّم رؤية أكثر تأثيراً[12] ومن مظاهر المفاجأة الأسلوبية ما يأتي :

أ – إضافة اليدين إلى الله سبحانه ورسوله (ص) في الآية الكريمة﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الحجرات :1] ووجه المفاجأة متأتٍ من نسبة اليدين إلى الله وليس إلى رسوله ؛ لأنّ اليدين للإنسان وليس من صفات الله إذ هو تعالى ليس بجسم ؛ لذلك أفرزت هذه الآية قراءات للتخلص من عدم التناسب الدلالي منها :

1- قراءة الطبري وهي فهم لمعنى كنائي مؤسّس على الدلالة في كلام العرب ، فقال : ((لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم ، قبل أن يقضي الله لكم فيه ورسوله ، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله ، محكي عن العرب فلان يقدم بين يدي إمامه ، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه))[13]

2- قراءة الرازي وهي أنّ اليدين يراد بهما((حضرتهما لأن ما بحضرة الإنسان فهو بين يديه وهو ناظر إليه وهو نصب عينيه))[14].

3- قراءة الطباطبائي القائمة على المجاز أو الاستعارة ، وخصّصها بمقام الحكم إذ قال :((بين يدي الشيء أمامه وهو استعمال شائع مجازي أو استعاري وإضافته إلى الله ورسوله معاً لا إلى الرسول دليل على أنه أمر مشترك بينه تعالى وبين رسوله وهو مقام الحكم الذي يختص بالله سبحانه وبرسوله بإذنه))[15] .

ب- تقييد الحرب بالله ورسوله في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة : 278-279] فالمعنى الظاهر هو وجود حرب واحدة من طرفين الله والرسول . فكيف يكون هذا الاشتراك لنفهم حقيقة الدلالة ؟ وهذا البناء الاسلوبي قد أنتج قراءات دلالية منها

1- قراءة الطبرسي فقد فرّق الحرب على النحو الآتي : ((أيقنوا أنكم تستحقون القتل في الدنيا ، والنار في الآخرة ، لمخالفة أمر الله ورسوله))[16] فالحرب من الرسول القتل ، والحرب من الله النار .

2- قراءة الطباطبائي : ((نسبة الحرب إلى الله ورسوله لكونه مرتبطاً بالحكم الذي لله سبحانه فيه سهم بالجعل والتشريع ولرسوله فيه سهم بالتبليغ ، ولو كان لله وحده لكان أمراً تكوينياً ، وأما رسوله فلا يستقل في أمر دون الله سبحانه ... والحرب من الله ورسوله في حكم من الاحكام مع من لا يسلمه هو تحميل الحكم على من ردّه من المسلمين بالقتال))[17] فتكون الدلالة عنده واحدة وهي الحكم التشريعي الذي كتبه الله وبلّغه رسوله . ولا توجد حربان في الآية كما فهم الطبرسي .

ثانياً – نسبة الفعل الواحد إلى الله وإلى رسوله وهي أكثر استعمالاً في الاقتران اللغوي ، وهذه النسبة تتمثل في مجموعة من الأفعال التي تثير انتباه المتلقي ، وتحرك مكنوناته العقدية لكي يُدرك الدلالة الجديدة المحركة لقناعته السابقة ، فيحاول أنْ يتقبّلها من غير أنْ تصطدم بإيمانه . ومن تلك الأفعال ما جاء في الآيات الآتية :

أ- الفعل (أغنى)

في قوله تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[التوبة :74] نجد المفاجأة متجلية في الجملة (أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) بسبب عطف رسوله على الله واشتراكه معه في الفعل مع تأكيد النص على اختصاص الفعل بالله بقرينة (مِنْ فَضْلِهِ) ؛ لأنّ الضمير عائد على الله ، ولم يكن الضمير للمثنى (فضلهما) . والمتبادر إلى الذهن المسلم أنّ المغني هو الله تعالى وليس أحد غيره . فلماذا اقترن رسوله بالله في الجملة ؟! هنا ينفتح أفق فهم الآية على قراءات متعدّدة منها :

1- قراءة الطبري : وهي روائية تعتمد سبب النزول . فترى((أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنّه قال كلمة الكفر كان فقيراً ، فأغناه الله بأنْ قُتل له مولىً ، فأعطاه رسول الله (ص) ديته))[18] .

2- قراءة البيضاوي : وسّع دائرة سبب النزول لتشمل((أكثر أهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش . فلما قدمهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أثروا بالغنائم))[19] .

3- الطباطبائي يرى أنّ الآية في المنافقين و((كان سبب نقمتهم هذه أنّ الله أغناهم من فضله بما رزقهم من الغنائم وبسط عليهم الامن والرفاهية فمكنهم من توليد الثروة وإنماء المال من كل جهة ، وكذا رسوله حيث هداهم إلى عيشة صالحة تفتح عليهم أبواب بركات السماء والأرض ، وقسم بينهم الغنائم وبسط عليهم العدل . فهو من قبيل وضع الشيء موضع ضده : وضع فيه الإغناء وهو بحسب الطبع سبب للرضى والشكر موضع سبب النقمة والسخطة كالظلم والغضب وان شئت قلت : وضع فيه الاحسان موضع الإساءة ، ففيه نوع من التهكم المشوب))[20].

فيكون الإغناء لله ؛ لأنّه المالك الحقيقي والكريم المعطي . والرسول يُغني من فضل الله وملكه فيكون الرسول واسطة لإيصال عطاء الله إلى خلقه تعالى بما مكّنه الله من القوة والقدرة على ذلك . فالفعل واحد والفاعل متعدد . فالله فاعل أصيل والرسول فاعل تبعي لله تعالى ، ومنه يستمد الفاعلية والقدرة على إنجاز الفعل.

ب- الفعل (يرى)

يطالعنا النص القرآني بمعنى جديد تتوّحد فيه الرؤية المعرفية عند الله ورسوله والمؤمنين في الآية ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[التوبة :105] ففي قوله تعالى (فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) الفعل (يرى) دلالته معنوية لإسناده إلى الله ، وليست رؤية بصرية . والعطف بالواو يُفيد الجمع بين الله ورسوله والمؤمنين ، ويؤسس لرؤية واحدة جامعة تحمل معنى واحداً يتجاوز المعنى الحسي ، ويخرق المألوف الدلالي الذي يظهر في الرؤية البصرية ؛ ليُنتج المعنى المجرد للرؤية والمعرفة المعنوية المحيطة بالأعمال الصادرة من الناس . وهذا الفهم أدركه بعض المفسرين قائلاً ((المراد بالرؤية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عداه إلى مفعول واحد ، ولو كان بمعنى العلم الذي ليس بمعرفة لتعدى إلى مفعولين ، وليس لأحد أن يقول : إنّ أعمال العباد من الحركات يصح رؤيتها لمكان هذه الآية ، لأنه لو كان المراد بها العلم لعداه إلى الجملة وذلك أن العلم الذي يتعدى إلى مفعولين ما كان بمعنى الظن ، وذلك لا يجوز على الله وإنما يجوز عليه ما كان بمعنى

المعرفة . وروي في الخبر أن أعمال العباد تعرض على النبي (صلى الله عليه وآله) في كل اثنين وخميس فيعلمها ، وكذلك تعرض على الأئمة عليهم السلام فيعرفونها ، وهم المعنيون بقوله " والمؤمنون "))[21] .

والمفاجأة الأسلوبية حاضرة في النص نفسه باستعمال حرف الاستقبال السين ((وإنما قال " فسيرى الله " على وجه الاستقبال . وهو عالم بالأشياء قبل وجودها . لأنّ المراد بذلك انه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة وكونه عالما بأنها ستوجد من كونه عالما بوجودها إذا وجدت لا يجدد حال له بذلك))[22] والاقتران بين الأسماء (الله ورسوله والمؤمنين) هو الذي خلق الدهشة الأسلوبية ودعا إلى التأمل في تلقي النص وفهمه((وقد ذكر الله مع رسوله وغيره وهو عالم بحقائقها وله أنْ يوحي إلى نبيه بها كان المراد بها مشاهدة الله سبحانه ورسوله والمؤمنون حقيقة أعمالهم ، وكان المراد بالمؤمنين شهداء الأعمال))[23] .

فنفهم أنّ الله يعلم الأعمال مباشرة لإحاطته بكلّ شيء ويعلم الرسول الأعمال أيضاً بواسطة التعليم الإلهي . فالله يُطلعه عليها والمؤمنون كذلك يعلمهم الله ذلك . فالرؤية هنا لله مباشرة يرى بعلمه ورؤية الرسول والمؤمنين بالواسطة وبالعلم الإلهي . فيكون الله تعالى فاعلاً أصيلاً. والرسول والمؤمنون فاعلان بالتبع وبتعليم الفاعل الأصيل .

ثانيًا – الدلالة الموضوعية للاقتران

يرتبط اقتران (الله ورسوله) بما قبلهما من ألفاظ تتحدّث عن موضوعات قرآنية تكون هي المحور الذي تدور حوله دلالة الألفاظ الأخرى ، وقد أعطت الآيات القرآنية الموضوعات الآتية :

1- الإيمان

إنّ مفهوم الإيمان في هذا البحث نفهمه من بعض النصوص القرآنية التي استعمل فيها ، وقد ظهر المعنى في الأفعال المشتقة من الإيمان . وحين نضعها في سلسلة دلالية مترابطة تتكون لدينا رؤية عامة عن هذا الموضوع تكشف علاقة الاقتران بالإيمان نفسه في المراحل الدلالية الآتية :

أ- الدعوة إلى الإيمان والتلبس به وإيجاده في النفس والمجتمع . وتتمثل هذه الدعوة بفعل الأمر الموجّه إلى الناس كافة في الآية :﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف :158] ويبدو أنّ النص يُبيّن مقدمات الدعوة للإيمان بوساطة الوحي المعبّر عنه بالفعل (قلْ) وهو تعليم خاص يتلقاه الرسول . والمقدمات هي بيان كونه رسولاً من الله تعالى إليهم . الدال عليه بإضافة رسول إلى الله . وبيان مالكية الله وقدراته على الإحياء والإماتة . ثم تأتي فكرة الدعوة في(فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ) التي لم تكن منجزة بعدُ . وهذا الاقتران لا ينفك أحد طرفيه عن الآخر ، فلا يكون الإيمان إلا بهما معاً . فتكون الملازمة حقيقية ضرورية إذا تحقّقت تحقّق الإيمان بها . ونجد أنّ الآية تثبتْ إيمان الرسول(ص) بالوصف

(الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ) وهو إيمان متعلق بالله وكلماته التي تشير إلى الرسالة والرسول نفسه . فهو(ص) يؤمن بالله وبنفسه رسولاً.

والدلالة نفسها تأخذ صيغة الفعل المضارع المسبوق بلام التعليل في قوله تعالى :﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفتح :8-9]

وهي لبيان الغاية من إرسال الرسول (ص) في الحالات الثلاث الشاهد والمبشر والنذير التي تنحصر في الإيمان بالله ورسوله ... الذي تزداد الدعوة إليه لتتعمّق دلالته في أذهان الناس . وترسخ في نفوسهم كما في قوله تعالى : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ...﴾[الحديد : من الآية 7] .

ب- مرتبة تحقّق الإيمان في نفوس المؤمنين وهو اسم فاعل قد تلبّس بالإيمان بعد سماع الدعوة كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[النور :من الآية 62] والآية تحصر وصف المؤمنين بالذين تحقّق الإيمان فيهم . فهم ((الكاملون في الإيمان(الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم))[24] . وهو إيمان مركب من أصل وفرع يتعلقان بحقيقة الإيمان هما الله الأصيل ورسوله المتفرع عنه ، وتتجلّى حقيقة إيمانهم في سلوكهم ومن مظاهر سلوكهم استئذان الرسول للذهاب عنه . والنص يؤكد ذلك الإيمان بالجملة المؤكدة بـ(إنّ) في(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ).

ت- مرتبة الإيمان العالي

ويتوجّه الخطاب نحو المؤمنين آمراً إياهم إلى الإيمان بالأسلوب نفسه قائلاً﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[النساء :136]

فالنص يؤكد إيمانهم بدليل الاسم الموصول وصلته(الَّذِينَ آمَنُوا) وفعل الأمر(آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...) يدعو المؤمنين أنفسهم إلى زيادة الإيمان وإتمامه((آمنوا إيماناً تاماً عاماً يعمّ الكتب والرسل فإنّ الإيمان بالبعض كلا إيمان))[25] . فيكون إيماناً متعالياً في مراتب جديدة تسمو على الإيمان العام . و((أمر المؤمنين بالإيمان ثانياً بقرينة التفصيل في متعلق الايمان الثاني أعني قوله " بالله ورسوله والكتاب " ... وأيضاً بقرينة الإيعاد والتهديد على ترك الايمان بكل واحد من هذا التفاصيل إنما هو أمر ببسط المؤمنين إجمال إيمانهم على تفاصيل هذه الحقائق))[26] .

2- الطاعة

يصنع النص القرآني موضوع الطاعة في مراحل :

أ- الأمر بالطاعة

الأمر يتوجه إلى المؤمنين في جملة من الآيات مثل :﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء :59] وفي الآية((خطاب من الله تعالى للمؤمنين

يأمرهم أن يطيعوه ويطيعوا رسوله ويطيعوا أولي الامر منهم ، فالطاعة هي امتثال الامر . فطاعة الله هي امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه . وطاعة الرسول كذلك امتثال أوامره وطاعة الرسول أيضا هي طاعة الله ، لأنه تعالى أمر بطاعة رسوله ، فمن أطاع الرسول ، فقد أطاع الله كما قال " من يطع الرسول فقد أطاع الله))[27] فالتسلسل المنطقي لهذا الموضوع يتم الدعوة إليه بعد وقوع الإيمان بالله وبرسوله ومن غير المعقول أنْ يتوجّه الخطاب بالطاعة لمن لم يؤمن بعدُ . فكان النداء للذين آمنوا المتصفين بالإيمان وهو يشعر بالإيمان المطلق ، ويمكن أنْ يكون متعلّق الإيمان ما ذُكر في أمر الطاعة من متعلّق وهو الله والرسول وأولي الأمر . للرابطة الضرورية بين الإيمان والطاعة . فتتوقف الطاعة لهؤلاء على الإيمان بهم جميعاً . وإنّ النص قد بيّن بعض موارد الإيمان بالشرط في (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وهي الله الذي هو المبدأ واليوم الآخر المنتهى والمعاد. وما بينهما من الرسالة وولاية أولي الأمر . والطاعة لهم مطلقة في كلّ شيء ولم تُقيّد بشيء معين . ويظهر فعل الطاعة على دفعتين : الأولى إطاعة الله تعالى والثانية إطاعة الرسول وأولي الأمر أو يكتفي في الثانية بإطاعة الرسول كما في الآية المباركة : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[المائدة :92] ونجد النص القرآني يعمّق موضوع الطاعة في بؤرة طلبية واحدة هي الفعل الواحد ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران :32] فالطاعة المطلوبة هنا واحدة لله ولرسوله معاً ولا يصحّ التفكيك بينهما .

ب- تحقّق الطاعة

يكشف النص القرآني في بعض آياته امتثال المؤمنين أمرَ الطاعة لله ولرسوله كما في قوله تعالى :﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة :71]

فقد اتصف هؤلاء بالإيمان أولاً وما يتبعه من أفعال كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة باستمرار بدلالة الأفعال المضارعة ثم أنجزوا الطاعة وهي مطلقة ومستمرة . وهي طاعة متجلية على مستوى التطبيق العملي . وقد أشار القرآن إلى ظهور الطاعة على مستوى القول والخطاب في الآية :﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[النور :51] وهذا القصر بـ(إنّما) يجعل خطاب المؤمنين شعاراً ينطقون به عند كلّ دعوة إلى الله والرسول

ونجد لتحقّق الطاعة ألفاظ أخرى تحمل المعنى نفسه وتحكي الغاية عينها كقوله تعالى ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[آل عمران :172] فالفعل (استجاب) يندرج تحت مفهوم الطاعة وهو منجز في الخارج ، فاتصف به أولئك الأفراد المرتبطين بالله وبالرسول .الممتثلين لهما معاً والتحقّق الفعلي في الآية قد طرحه النص القرآني في الآية : ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[الأنفال : 24] فكان إنجازهم الفعل بالأسلوب نفسه وهو وحدة فعل الأمر وتقيّده بالاسمين المباركين .

3- الكفر

نجد النص القرآني يختار موضوع الكفر ، فيتعلّق به اقتران (الله ورسوله) . وهذا الموضوع يمثّل تضاداً مع موضوع الإيمان المتقدّم وهو يصوّر المنافقين الذين اتصفوا بالكفر:﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[التوبة :54] فقد كان هؤلاء المنافقون قد أمروا بالإيمان حالهم حال المؤمنين ، ولكنهم رفضوا ذلك حتى تمكن الكفر من قلوبهم ، فظهرت دلائله في التكاسل عن الصلاة والكراهية في الإنفاق لعدم إخلاصهم[28]. والقرآن يركّز على آثار الكفر في أصحابه ومنها عدم قبول نفقاتهم في الآية المتقدمة ، ولا تجوز الصلاة عليهم عند موتهم ولا زيارة قبورهم ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[التوبة : 84] فاستيلاء الكفر على القلب يمنع من النجاة والهداية ويُبيّن لغو الاستغفار للمنافقين والصلاة على موتاهم والدعاء لهم عند قبورهم[29].

ويؤثر الكفر في مصير المتصفين به إذ يترتب عليه عدم شمولهم بالمغفرة حتى أنّ استغفار الرسول(ص) لهم لا يجلب المغفرة لهم لوجود المانع وهو شدة الكفر لديهم . قال تعالى : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة :80] فكان((ترك عفوه لهم عن ذنوبهم ، من أجل أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله))[30] . وقد عبر القرآن بنفي الإيمان(لَمْ يُؤْمِنْ) في أسلوب الشرط ؛ عن الكفر ليُثبتَ قاعدة عقدية هي أنّ عدم الإيمان بالله والرسول نتيجته الدخول في السعير المعدّة لكل كافر في قوله تعالى :﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾[الفتح :13] .

4- العصيان

وهو موضوع يتضاد مع موضوع الطاعة السابق ونجد حضوره في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[الجن :23] . وهذا النص الشريف يضع قاعدة كلية مفادها كلّ من يتصف بعصيان الله والرسول يخلد في جهنم .

وهذا العصيان يتجلّى في ألفاظ أخرى مثل الإعراض ، فنجد النص القرآني يصف من لا يقبل الدعوة إلى الله ورسوله بالمعرضين قال تعالى : ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[النور :48] . ففي هذا الشرط نجد ظهور لفظي الله ورسوله مقترنين ومتعلقين بفعل واحد هو (دعوا) وبعده أتى تعليل الدعوة إليهما بـ (لِيَحْكُمَ) والفاعل مفرد . فقيل في الآية أقوالاً منها :

1- ((إذا دعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله ليحكم بينهم فيما اختصموا فيه بحكم الله ، إذا فريق منهم معرضون عن قبول الحق والرضا بحكم رسول الله (ص)))[31] وهنا تكون الدعوة إلى كتاب الله وليس إلى الله تعالى .

2- دعوا ((إلى كتاب الله ، وحكمه ، وشريعته . (ورسوله) أي : وإلى حكم رسوله (ليحكم بينهم) الرسول . وإنما أفرد بعد قوله (إلى الله ورسوله) لأن حكم الرسول يكون بأمر الله تعالى

، فحكم الله ورسوله واحد))[32] . ونجد المفسر يضيف ألفاظاً على النص القرآن عند تفسيره . فالدعوة إلى الكتاب وليس إلى الله مباشرة وإلى حكم الرسول وليس إلى الرسول مباشرة .

3- ((هي الدعوة إلى المتابعة لما يقتضيه شرعه تعالى في مورد النزاع ، وبالدعوة إلى رسوله ليحكم بينهم هي الدعوة إلى متابعة ما يقضي عليه بالمباشرة))[33] والمفسر لا يذكر ألفاظاً تضاف للآية بل يقبل ظاهر اللفظ ، فتكون الدعوة إلى الله تعالى لغرض متابعة قضائه وحكمه . والدعوة إلى رسوله لمتابعة حكمه مباشرة .

الخاتمة

تتبع الباحث اقتران لفظي الله والرسول في النص القرآني ؛ لأنّه ظاهرة نحوية لم تدرس من قبلُ . برزت في إطار أسلوب العطف النحوي. وقد ظهرت في أنماط تركيبية متعددة . هي :

الجملة الاسمية المؤكدة وغير المؤكدة والجملة الفعلية ذات الفعل الماضي وذات الفعل المضارع . وأساليب الشرط والأمر والنفي والاستفهام والنهي والاستثناء .

تجلّت أسلوبية الاقتران في نسبة فعل واحد إلى الله ورسوله مع أنّ الأول خالق والثاني مخلوق . فتبيّن أنّ الفاعل الحقيقي هو الله تعالى والرسول فاعل بإذنه تعالى إذ إنّه يكتسب القدرة على الفعل من فاعله الأصيل . ووظّف الاقتران بين لفظي الله ورسوله في دلالة موضوعية كوّنت أربعة موضوعات قرآنية أصيلة هي :

الأول : الإيمان بالله والرسول وقد مرّ الموضوع في ثلاث محطات : الدعوة للإيمان بالله ورسوله . ثم تحقّق ذلك الإيمان عند المؤمنين . والإيمان العالي بدعوة المؤمنين بالله ورسوله إلى درجة عالية من لك الإيمان .

الثاني : الطاعة لله ولرسوله في مرحلتين : الأمر بالطاعة لهما . تحقّق الطاعة لله ولرسوله لدى المؤمنين .

الثالث : الكفر بالله وبرسوله وهو يقابل موضوع الإيمان .

الرابع : العصيان لله ولرسوله جاء على شكل قاعدة (من يعصِ الله ورسوله يخلد في جهنم) .

من ذلك كلّه نفهم أنّ ظاهرة الاقتران بين هذين اللفظين منتشرة في القرآن الكريم ومركّزة تحمل رؤية أساسية تؤكّد ارتباط الرسول بالله في كلّ حياته . وقد تجلّى ذلك الارتباط في هذا النسق التركيبي المتعدد فضلاً عن النسق الدلالي الذي خلق أربعة موضوعات عقدية متقابلة تنشأ من ارتباطها بالله (التوحيد) وبالرسول (الرسالة) فالموقف الإيجابي منها يكوّن الإيمان الذي يحقّق سعادة الإنسان . ويستتبعه موضوع الطاعة لله ولرسوله من المؤمنين وفي مقابله الموقف السلبي من الله ورسوله الذي يوجد الكفر في بعض النفوس. فيخسر الإنسان مصيره إذ يلازم الكفر العصيان لله ولرسوله .

الهوامش

1- الجوهري - الصحاح : 2181/6.
2- الطوسي - التبيان في تفسير القرآن : 172/1 .

3- الراغب الأصفهاني ـ المفردات في غريب القرآن : 417 .
4- محمد عبد الرؤوف المناوي ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير : 2 / 627 .
5- العكبري ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، 1979 م: 17/2 .
6- الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن : 172/1 .
7- الشريف الجرجاني ـ الحاشية على كتاب الكشاف : 172 .
8- الطبري ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 76/10. و الفخر الرازي ـ تفسير الرازي : 217/15 .
9- العكبري ـ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن ، 1979 م : 11/2.
10- الآلوسي ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ : 430/28 .
11- د. عبد السلام المسدي ـ الأسلوبية والأسلوب ، 2006 م : 68. نقلاً عن : Essais de Linguistigue generale 1/228.
12- ينظر : د . موسى ربابعة ـ الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ، 2003 م :58 .
13- الطبري ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 150/26 .
14- الرازي ـ تفسير الرازي : 111/28.
15- محمد حسين الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن : 305/18 .
16- الطبرسي ـ مجمع البيان : 211/2 .
17- الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن : 422/2 .
18- الطبري ـ جامع البيان : 238/10 .
19- البيضاوي ـ تفسير البيضاوي : 159/3 .
20- الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن :341/9 .
21- الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن : 295/5 .
22- الطوسي ـ المصدر نفسه : 295/5 .
23- الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن : 379/9 .
24- الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن : 235/3 .
25- البيضاوي ـ المصدر نفسه : 276/2 .
26- الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن : 111/5 .
27- الطوسي ـ التبيان في تفسير القرآن : 235/3 .
28- ابن عاشور ـ التحرير والتنوير ، 2000 م : 227/10 .
29- ينظر :الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن : 372/9 .
30- الطبري ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن : 253/10 .
31- الطبري ـ المصدر نفسه : 208/18 .
32- الطبرسي ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : 263/7 .
33- الطباطبائي ـ الميزان في تفسير القرآن :146/15 .

المصادر والمراجع

* إسماعيل بن حماد الجوهري(ت393ه) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار . ط 3 ، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان 1404 ه / 1984 م .
* الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني(502 ه) المفردات في غريب القرآن ضبط هيثم طعيمي . ط 1، دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان ، 1428 ه / 2008 م .
* الفضل بن الحسن الطبرسي(ت 548 ه) مجمع البيان في تفسير القرآن ، حقّقه وعلّق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، قدم له محسن الأمين العاملي ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . ط 1 بيروت – لبنان ، 1415 ه / 1995 م .
* عبد السلام المسدي . الأسلوبية والأسلوب ـ ط 5 ، دار الكتاب العربي . بيروت ـ لبنان . 2006 م .
* عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري(ت 616 ه) إملاء ما منّ به الرّحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن . ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، 1399 ه / 1979 م .
*علي بن محمد بن علي الجرجاني ـ الحاشية على كتاب الكشاف(ت 816ه) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، 1385 ه / 1966 م .
* محمد بن جرير الطبري (ت 310 ه) جامع البيان عن تأويل آي القرآن. قدّم له الشيخ خليل الميس. ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار. - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . 1415 ه / 1995م.
* محمد بن الحسن الطوسي(ت 460 ه) التبيان في تفسير القرآن . تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي . ط 1 ، دار احياء التراث العربي (د :ت).
* محمد بن عمر الرازي (ت 604ه) تفسير الفخر الرازي. ط 1 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– 1401 ه / 1981 م .
* محمد حسين الطباطبائي . الميزان في تفسير القرآن صحّحه وأشرف على طباعته حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . ط 1 بيروت ـ لبنان ، 1417 ه / 1997 م .
* محمد الطاهر ابن عاشور . التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور . ط 1 مؤسسة التاريخ ـ بيروت . لبنان. 1420 ه / 2000 م.
محمد عبد الرؤوف المناوي .. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير . ضبطه وصححه أحمد عبد السلام – ط1 ، دار الكتب العلمية ، . بيروت – لبنان 1415 ه / 1994 م .
* محمود الآلوسي . روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني ط 1 ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ـ لبنان ـ 1421 ه / 2000 م.
* موسى ربابعة . الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها . ط 1 ، دار الكندي للنشر والتوزيع ـ الأردن ، 2003 م .
* ناصر الدين بن عمر البيضاوي (ت 791 ه) تفسير البيضاوي المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، تحقيق محمد صبحي ، ود . محمود أحمد الأطرش .. ط 1 ، دار الرشيد ، بيروت ، 1421 ه / 2000 م .